

تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

لقد نتج عن التطور التخصصي الذي شهدته بنية المعرفة انقسامها إلى جزرٍ منفصلة، مما أدى إلى حرمان الفكر الإنساني من الرؤية الكلية، فكان لا بد من تعويض هذا النقص بمشاريع تهدف إلى تحقيق تكامل المعارف وتساند مناهجها. وهكذا نلاحظ اليوم في مختلف المراكز والمعاهد البحثية - داخل العالم الإسلامي وخارجه - حضور فكرة تكامل المعارف، ونقد التجزئة التي لحقت بنية العلوم بفعل التخصص. إلا أن هذه الفكرة لها أيضًا خصوصيتها عند طرحها في سياق ثقافي أو تعليمي معيّن. ودليل ذلك أن التفكير في مسألة تكامل المعارف في واقعنا الثقافي الإسلامي يُظهر أبعادًا أخرى، حيث لا نجد إشكاليات الانفصال الناجم عن التخصص فقط، بل نجد أيضًا انفصالًا بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية، على الرغم من مقتضيات التداخل والتقاطع بينهما.

ولقد تعالت في الآونة الأخيرة دعوات كثيرة إلى الوصل بين هذه العلوم، إلا أنه لم يُنجز - حتى الآن - عمل فعليّ يحقق ذلك الوصل المنشود، حيث ما زال الأمر عند مستوى الأمل ولم ينتقل بعد إلى مستوى الإنجاز. ويكفي للاستدلال على ذلك النّظر إلى واقع التعليم في كثيرٍ من الكليات والمعاهد المختصة بالتكوين الشرعي أو التكوين في مجال العلوم الإسلامية، حيث يتلقى الطالب المعارف الدينية دون انفتاح على الإسهامات المنهجية والمعرفية التي حققتها العلوم الإنسانية.

وللإسهام في سدّ هذا النقص، يُقدّم مركز نهوض للدراسات والبحوث سلسلة «مداخل منهجية في العلوم الإنسانية» التي تهدف إلى التعريف بهذه العلوم، مع وصلها بالعلوم الإسلامية، وبيان تطبيقاتها الممكنة على واقع الثقافة والاجتماع العربي الإسلامي. ومن هذا المنظور، فإن لهذه السلسلة خصوصية مختلفة عن كتب المداخل التقليدية. إذ يمكن القول إن المكتبة العربية لا تزال تفتقد إلى مداخل منهجية تُعرّف بهذه العلوم مع ضبط مواطن الاستفادة منها بتطبيقاتٍ تفيد في الوصل بين هذين المجالين (العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية).

وقد حرص مركز نهوض للدراسات والبحوث في هذه السلسلة على استكتاب المتخصصين المبرزين في العلوم الإنسانية، أو انتقاء الكتب المدخلة باللغات الأجنبية المختلفة، وتقديمها بأسلوب مُفصّل يخلو من الغموض بالقدر الذي يحقّق إمكانية توسيع تداول الكتاب والاستفادة منه، دون الإخلال بمقتضيات المعرفة الأكاديمية، وكذلك تقريبها للعلوم الإنسانية من حقل الدراسات الإسلامية بنماذج تطبيقية تُبيّن إمكانيات الاستفادة منها. كما راعى المركز في هذه السلسلة التعريف بالعلم ومدارسه ومراحل تطوره، دون إغفال مستجداته الراهنة، حيث نلاحظ أن غالبية كتب المداخل المتداولة اليوم تقتصر في التعريف بالعلم على مرجعياتٍ ومعطياتٍ متقدمة، وكأن هذا العلم قد توقف عن التطور، ولا يشهد أيّ مستجدات.

ويأتي هذا الكتاب الأول من سلسلة «مداخل منهجية في العلوم الإنسانية» بعنوان «مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: مداخل وتطبيقات» من تأليف ثلاثة من أهم المشتغلين بالعلوم الاجتماعية: لوك فان كامبنهود، وجاك ماركي، وريمون كيني؛ وترجمة متخصصة من الدكتور محمد الحاج سالم، ومراجعة وتقديم الدكتور الطيب بوعزة. ويتميّز هذا الكتاب الذي نقدّمه للقارئ العربي بميزةٍ أساسية، وهي سلوكه المسار الاستنباطي، فلم يغفل المؤلفون الثلاثة الأسس النظرية للمناهج، مؤسسين هذا الكتاب على مسارٍ مُتدرّجٍ يعمد إلى تفصيل كل عملية من عمليات المنهج بتأنٍ وعناية، موضحين إياها خطوةً تلو أخرى. مع تطبيق هذه الخطوات والمسارات على أمثلة بحثية ميدانية.

ومركز نهوض للدراسات والبحوث إذ يقدّم هذا الكتاب الأول من سلسلة «مداخل منهجية في العلوم الإنسانية»، فإنه يأمل أن يسهم هو وغيره من كتب السلسلة في ترقية المستوى المعرفي لطلبة الجامعات العربية في مجالي العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، على نحوٍ يجاوز الانفصال السائد، وتمكينهم من الأصول والأدوات المنهجية التي بلورها العلم موضوع التعريف.